# سيمياء الكناية في ملحمة المشكاة الأحمد بخيت (دراسة تطبيقية)

إعداد

إلهام الضوي السيد محمد

**مستخلص البحث باللغة العربية**

ظهرت في الآونة الأخيرة عدد من المناهج الحديثة التي سيطرت على ساحة الدراسات اللغوية، وأضحت هي الشغل الشاغل للكثير من الدارسين، وكان من بين تلك المناهج (المنهج السيميائي) الذي شغل حيزا كبيرا من اهتمام الدراسات الحديثة؛ اللغوية منها وغير اللغوية، فمثَّل جسرًا قويا يصل بين العلوم المختلفة، خاصة العلوم المهتمة بالتأويل والافتراضات المنهجية؛ كـــ العلوم اللغوية والفلسفية والنقدية إلخ، وعلى الرغم من أن النشأة الأولى له جاءت في القرن السابع عشر الميلادي إلا أنه تخصص وظهر كمجال مستقل في نهاية القرن التاسع عشر، وكان أحد أهم مؤسسيه العالم اللغوي دي سوسير، الذي نظر إليه نظرة لغوية، وعرفه بأنه "علم يدرس دور الإشارات كجزء من الحياة الاجتماعية"[(١)]، وأطلق عليه اسم(السيميولوجيا)، أما عن الكناية فهي صورة بيانية وجمالية لها دورها البارز الذي لا يمكن الإغفال عنه أو الاستهانة به سواء على الجانب البلاغي القديم، أو في الدراسات السيميائية الحديثة، فهي في حقيقتها دالة على مدلولين، أحدهما حقيقي والآخر مجازي، وتتموضع الكناية في الدراسات البلاغية الحديثة في إطار علاقتي التجاور والتداعي، ولا ريب في أن تتبع الصورة الكنائية في أي نص لغوي لا سيما النص الشعري يتطلب النظر إلى النص على أنه بنية لغوية وجمالية متكاملة لا يمكن تجزئتها، حتى يتسنى للناقد أو المتلقي أن يلتمس المغزى الدلالي والجمالي للكناية في النص بوجه عام.

[(1)]Ferdinand de Saussure, Course in General Linguistics, Edited by Charles Bally and Albert Sechehaye in Collaboration with Albert Riedlinger: Translated and Annotated byRoy Harris(London:Duckworhh,1983), pp.15 .

**Abstract**

Recently, a number of modern curricula have emerged that have dominated the field of linguistic studies, and have become the preoccupation of many scholars, and among those curricula (the semiotic curriculum), which occupied a large part of the interest of modern studies; Linguistic and non-linguistic, it represented a strong bridge linking the different sciences, especially the sciences concerned with interpretation and methodological assumptions; As linguistic, philosophical, critical sciences, etc., and although its first establishment came in the seventeenth century AD, it specialized and emerged as an independent field at the end of the nineteenth century, and one of its most important founders was the linguist de Saussure, who looked at it with a linguistic view, and defined it as "" A science that studies the role of signs as part of social life", and called it (semiology), As for the metonymy, it is a graphic and aesthetic image that has a prominent role that cannot be overlooked or underestimated, whether on the ancient rhetorical aspect, or in modern semiotic studies. My relationship of juxtaposition and association, and there is no doubt that following the allegorical image in any linguistic text, especially the poetic text, requires looking at the text as an integrated linguistic and aesthetic structure that cannot be divided, so that the critic or the recipient can seek the semantic and aesthetic meaning of the metonymy in the text in general.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين، وبعد ...

بدأت الارهاصات الأولى للسيميائية مع العالم اللغوي دي سوسير، الذي ربطها بعلم اللغة، وحدد ماهيتها بدراسة العلامات في دلالاتها الاجتماعية، وتمثلت العلامة اللغوية لديه في الربط بين الصورة الصوتية والمعنى، بين الدال والمدلول، وبين اللفظ والدلالة، ولا يمكن الفصل بينهما بحال من الأحوال، فكلاهما يتبع بعضه بعضا بلا فصل، إلى حد أنه قبل تضافرهما عند تشكيل العلامة اللغوية لا يكون التفكير والأصوات إلا كمًّا مضطربا لا شكل له، ولا يتحدد شيء قبل أن تظهر اللغة[١].

وللكناية عند البلاغيين مكانة عالية، فهي من فنون البلاغة التي لا غنى عنها خاصة في اللغة الشعرية التي تتسم بالمجازية والخيال، وغاية أهميتها أن التلميح بالكلام عند العرب أبلغ من التصريح، كما أنها ثبت المعنى وتأكده؛ لذا كانت من الفنون المستخدمة بكثر عند العرب.

**محتويات البحث :**

أولا: الكناية في الدرس البلاغي القديم.

(أ)- الكناية بين اللغة والاصطلاح.

(ب)- أقسام الكناية.

ثانيا: الكناية في الدرس البلاغي الحديث وعلاقتها بالسيميائية

ثالثا: الفكر الكنائي في المشكاة

[١] ينظر: تاريخ علم اللغة الحديث، جرهارد هلبش، ترجمه وعلق عليه، سعيد حسن بحيري، زهراء الشرق، ط١/٢٠٠٣م، صـ٧٢.

## أولا: الكناية في الدرس البلاغي القديم.

**الكناية لغة:** جاء في لسان العرب "الكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكَنى عن الأمرِ بِغَيْرِهِ يُكْنى كِنَايةً: يَعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه"[١]، وعرفها الجرجاني في معجم التعريفات بأنها "كلام استتر المراد منه بالاستعمال، وإن كان معناه ظاهرا في اللغة، سواء كان المراد به الحقيقة أو المجاز، فيكون تردد فيما أُريد به، فلابد من النية أو ما يقوم مقامها من دلالة الحال... والكناية عند علماء البيان: هي أن يعبر عن شيء لفظا كان أو معنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه لغرض من الأغراض...ولا تعرف إلا بقرينة زائدة؛ لذا سمُّوا التاء في قولهم(أنت)، والهاء في قولهم(إنه) حرف كناية، وكذا قولهم(هو)، وهو مأخوذ من قولهم(كَنّوت الشيء، وكنّيْته) أي سترته"[٢].

ويعرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "والمراد بالكناية ههنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء به إليه، ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم(هو طويلُ النجاد) يريدون طويل القامة، و(كثيرُ رَمادِ القِدْر) يعنون كثير القِرى، وفي المرأة (نؤوم الضحى) والمراد أنها مُتْرفةٌ مخدومة، لها ما يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله –كما ترى– معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، لكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد؟ وإذا كثر القِرى كثر رماد القدر؟ وإذا كانت المرأة مُترَفة لها ما يكفيها أمرها ردفَ ذلك أن تنام إلى الضحى"[٣].

---

[١] لسان العرب، مادة(كنى)، صـــ٣٩٤٤.

[٢] معجم التعريفات، الشريف الجرجاني، صـــ١٥٧.

[٣] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، صـــ٦٦.

**(ب)- أقسام الكناية**

**قسم البلاغيون الكناية على أساس طبيعة المكني عنه، حيث تنقسم الكناية وفقا لطبيعة المكني عنه وماهيته إلى ثلاثة أقسام هي[١]:**

**الكناية عن الموصوف:** والمراد به غير صفة ولا نسبة، ويرى السكاكي أن هذه الكناية تقترب تارة وتبتعد أخرى، فالكناية القريبة، والتي تحمل (معنى واحد) هي أن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض فتذكرها، متوصلا بها إلى ذكر الموصوف، كقولنا(المضياف) كناية عن زيد مثلا، أما الكناية البعيدة (مجموع معان)، هي أن تتكلف اختصاصها بأن تضم إلى لزم لازما آخر وآخر، فتلفق مجموعًا وصفًا مانعًا عن دخول كل ما عدا مقصودك فيه، مثل أن تقل في كناية عن الإنسان: (حي مستوي القامة عريض الأظفار).

**(٢)- الكناية المطلوب بها نفس الصفة:** والمراد الصفة المعنوية؛ كـــ(الجود والكرم والشجاعة، وأمثالها).

**(٣)- الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف (كناية النسبة):** يراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، وهي أن "يأتي بالمراد منسوبا إلى أمر يشتمل عليه من هي له حقيقة والغاية".

**<u>ثانيا: الكناية في الدرس البلاغي الحديث وعلاقتها بالسيميائية</u>**

الكناية مظهر هام وفعال من مظاهر البلاغة سواء قديما أو حديثا، وهي الشريك الثاني للاستعارة من حيث الاهتمام من قبل الدراسات البلاغية الحديثة، وإن كان الاهتمام بها لم يرتق لدرجة الاهتمام بالصور الاستعارية، ومن أفضل التعريفات التي قيلت في الكناية حديثا على حد قول دانيال تشاندلر هو تعريف الكناية بأنها "إيحاء بالكل بواسطة وصل ما،

---

[١] ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي، صـــ٤٠٤: ٤٠٧، البيان العربي(دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية)، بدوي طبانة صـــ٣٧٢:٣٧١.

فهي استخدام صفة أو معنى موحي أو شيء ما قريب بدل شيء، أو علاقة، كما عندما نقيم النتيجة مكان السبب، وينتج من ذلك علاقة تجاور"[١].

والحديث عن الكناية في الدراسات الحديثة لم يختلف كثيرا عن الحديث عنها في الدراسات البلاغية القديمة، لا سيما بعض النقاط التي شغلت الفكر الغربي مثلما شغلت البلاغيين العرب قديما، والتي منها على سبيل المثال العلاقة التي تجمع الكناية بالمجاز، والتفرقة بينهما، كذلك التفرقة بين الاستعارة والكناية، في هذا الصدد يفرق جاكبسون بين الفكر الكنائي والفكر الاستعاري، من خلال قوله:"الفكر الاستعاري يؤسس علاقات من جوهر التشابه بين عناصر مشعبة من التجربة وموضوعات طبيعية متنوعة، ثم إبراز ذلك في نماذج من الانسجام قوية وباقية على الأيام، أما الفكر الكنائي فيعتمد على التجاور في العلاقات أكثر من اعتماده على التشابه/ وهو لا يستمد وجوده من خلال النماذج البنائية ولكن من خلال الترابطات التي تلاحظ أو تدرك حسيا في زمان ما أو في مكان ما، وقد اعتقد ليفي ستراوس أن العلاقات الكنائية هي التي تسود المجتمعات الحديثة، أما المجتمعات الأسطورية القديمة فإن الأنساق البنائية هي التي تنظمها"[٢].

كما أن الاستعارة تستند إلى عدم وجود علاقة ظاهرة بين المشبه والمشبه به، أما الكناية فأساسها استخدام مدلول بالنيابة عن مدلول آخر يتعلق به بطريقة ما تعلقا مباشرا، أو يرتبط به ارتباطا شديدا، وتستند الكناية إلى علاقات تأشيرية متنوعة بين المدلولات، وبالأخص إقامة النتيجة مكان السبب[٣].

ولقد ميز بيرس بين أنواع العلامة الثالثة وفق علاقة الدال بالمدلول على النحو التالي[٤]:

١- علاقة تشابه في الأيقونة.

٢- علاقة التجاور المكاني والسببية في الإشارة.

---

[١] أسس السيميائية ، دانيال تشاندلر ، ترجمة طلال وهبه، مركز دراسات الوحدة العربية، صـــ٢٢٣.

[٢] تشكيل الصورة في شعر زهير بن أبي سلمي ، عبد القادر أحمد، جامعة الملك سعود، كلية الآداب ، صـــ١٧.

[٣] ينظر: أسس السيميائية، دانيال تشاندلر، صـــ٢٢٣.

[٤] ينظر: دليل مناهج البحث العلمي، مهى جرجور، جوزيف لبُّس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة اللبنانية،ط١، ٢٠٢٠، صـــ٨٤.

٣- علاقة عرفية غدت حتمية في الرمز، وهي علاقة اعتباطية، أي لا تشابهية ولا سببية ولا تجاورية.

فالكون في تصور بيرس شبكة غير محدودة من العلامات، فكل شيء يشتغل كعلامة، ويدل باعتباره علامة، ويدرك بصفته علامة.

ووفقا لتقسيم (بيرس) للعلامة جاءت الكناية ضمن المؤشر، يقول جاكبسون"إن المشبه به في الاستعارة يتصل بما يقوم هو مقامه على أساس المشبه، بينما تستند الكناية على التجاور أو القرب...، ويرى بيرس أن التجاور سمة تأشيرية، ويمكن اعتبار الكناية إسقاطا نصيا/ أو شبه نصي لصيغة بيرس التأشيرية لكن الكنايات لا تملك احتمال الحضور البيِّن الذي نجده في صيغة بيرس، إلا إذا كانت وسيلة الاتصال تأشيريَّة"[١].

فالعلامة تعد توليفة من الدال والمدلول، من الكلمة والتصوّر، والارتباط بين كلمة معينة (أو صورة صوتية ما)، وليس للعلامة دلالة بمعزل عن العلامات الأخرى في نظام اللغة نفسه، فهي تكتسب دلالتها من مكانتها في نظام الاختلافات، ونظام الاختلافات هذا يتوسع أفقيا ليضع سلسلة من الدوال مكونا سلسلة دالة، والعلامة في طبيعتها تمتلك خصوصية فريدة، وهي قدرتها على استثارة التأويل[٢].

وتستند نظرية جاكبسون في الوظائف اللغوية إلى تمييز سوسير بين العلاقات السياقية والعلاقات الإيحائية، من خلال هذا التمييز تتبلور علاقات المجاورة المتصلة بالعلاقات السياقية، وعلاقات التشابه المتصلة بالعلاقات الإيحائية، فتكون الاستعارة لدى دي سوسير "ترابطية في ميزتها، وتستثمر العلاقات العمومية في اللغة، في حين أن الكناية امتدادية، أو تتابعية"[٣].

ولقد طرح جاكبسون مفهومه للشعرية حول ربط علاقات المشابهة بالاستعارة، وعلاقات المجاورة بالكناية والمجاز المرسل، إذن فإن ما يشير بوضوح إلى علاقة

---

[١] المرجع السابق، أسس السيميائية، دانيال تشاندلر، صـــ٢٢٦.

[٢] ينظر: دليل مناهج البحث العلمي، مهى جرجور، جوزيف لبُّس، صـــ٨٤.

[٣] الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية(الحداثة وتحليل النص)، عبد الإله الصائغ، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٩م، صـــ ١٠١.

جاكبسون بسوسير هو –بالضبط– دراسته للاستعارة والكناية، حيث يشيران إلى استثمار العلاقات العمودية والأفقية على التوالي[١].

فعلاقة التشابه "هي التي تتحكم بمحور الاختيار، في حين تتحكم علاقة المجاوة بمحور التأليف (وعلاقة المشابهة هي مجمل العلاقات النظامية– حسب بارت– التي تتحد فيها الألفاظ في سلسلة غيابيا، بينما تكون علاقة المجاورة هي مجموعة الروابط المركبية التي هي تأليف سطري ذو بعد واحد، وتتشكل حضوريا، وطبقا لهذا يصبح عمل الوظيفة الشعرية –بعبارة أخرى– هو إسقاط المشابهة على المجاورة"[٢].

أما عن علاقتها بالمجاز المرسل فيرى جاكبسون أنه شكل خاص من أشكال الكناية وأن وظائفه بأجمعها جزء من الكناية، حيث يقول: "إن الكناية والمجاز المرسل يستندان إلى التجاور، ويختلف تعريف المجاز المرسل من منظرٍ إلى آخر"[٣]، ويرى محمد الوالي أن "الكناية أقرب ما تكون إلى طبيعة المجاز المرسل، وذلك لأنها مثله تقوم على علاقة المجاورة لا المشابهة كما تتغذى من ذلك النزوع العرفي عند المستعمل الذي يتقيد هو الآخر بما تتواضع عليه الجماعة، وأما حظها من الإبداع فلا يمكن أن يقارن بالتشبيه والاستعارة"[٤].

فالكناية تتفق إذن مع المجاز المرسل في آلية الفهم؛ لأنها تعتمد على علاقة المجاورة بين الصيغة المباشرة والمعنى المراد منها، وليست هناك علاقة مشابهة كما هي الحال بالنسبة للاستعارة والتشبيه، ولعل هذا ما جعل نسبة وجودها في الدراسات السيمائية والنقدية أقل من نظائرها الاستعارة والتشبيه.

وعلى الرغم من التراجع اللافت للكناية في الدراسات اللغوية والنقدية الحديثة مقارنة بالاستعارة "فقد سمحت...دراسة الكناية بالجواب سلبا؛ إذ أن هذه في الغالب صورة أقل

---

[١] ينظر: مفاهيم الشعرية (دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم)، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٤، صـــ٧٢.

[٢] المرجع السابق، مفاهيم الشعرية، حسن ناظم، صـــ١٠٢.

[٣] أسس السيميائية، دانيال تشاندلر، صـــ٢٢٨.

[٤] الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي، محمد الوالي، صـــ ٢١.

وضوحا وأقل ظهورا بالمقارنة مع الاستعارة، لكنها صورة رغم ذلك، أي أنها انعكاس لواقع مشوه، ومحول بواسطة الخيال الخلاق للكتاب"[١].

وفي نموذج هنريش بليث السيميائي "تأخذ الكناية موضعها مع الاستعارة تحت مسمى(الصورة الدلالية، أو الميتا دلالية) المنضوية في إطار الصورة المعتمدة على الانزياح في التركيب، وهي الصورة (السيميو تركيبية)"[٢].

**ثالثا- الفكر الكنائي في المشكاة:**

المشكاة نص شعري مفعم بالعناصر الفنية والجمالية، شكلت فيه الكناية عنصرا فعالا قائما على فكرة العدول الدلالي والانتقال من المعنى السطحي الظاهر إلى معنى خفي أكثر عمقا، ومن الصور الكنائية في المشكاة قول بخيت:

وُلِدَ الشَّـــهيدُ علـــى البريَّـــةِ، والـــذي ... تمشـــــي وراءَ لوائِـــــهِ الرَّايـــــاتُ

وإمامُ مَـــنْ صَـــلَّى وصَـــامَ مُصَـــدِّقًا ... بـــــاللهِ، لا شـــــكٌّ، ولا نَزغـــــاتُ

العاقِـــبُ، المُـــدَّثِرُ، المُزَّمِّـــلُ، الـــــ ... ـــــماحي، وآيُ الشِّـــركِ مَمْحُـــوَّاتُ

المُنذرُ، الهادي، البَشيرُ، الصَّادقُ الـــــ ... وعـــدِ، الأَمـــينُ، الرَّحْمَـــةُ المُهْـــداةُ

الهاشـــميُّ الخـــاتمُ الأُمِّـــيُّ مَـــنْ ... سَـــبَقَتْ إليـــهِ شـــفاهَنا الصَّـــلواتُ

وســـبيلُ رَبِّ العـــالمينَ المصـــطفى ... والـــذِّكْرُ لا عـــوجٌ ولا مـــيلاتُ

"طـــه" لَقَـــدْ بـــدأَتْ بِـــهِ تَمَّـــتْ بِـــهِ ... كلمـــاتُ رحمـــةِ ربِّـــهِ التَّامَّـــاتُ

تتحد الصور الكنائية في الأبيات السابقة من خلال وصف بخيت للنبي-صلى الله عليه وسلم- فقد جاءت الأبيات السابقة جميعها كناية عن النبي-صلى الله عليه وسلم- حيث كنى عن النبي-صلى الله عليه وسلم- من خلال ذكر صفاته العطرة، فهو (إمام من صلى وصام، مصدقا بالله، وهو العاقب المدثر، المذمل، الماحي لآي الشرك، وهو المنذر الهادي

---

[١] البلاغة (المدخل لدراسة الصور البيانية)، فرانسوا مورو، ترجمة محمد الوالي، عائشة جرير، إفريقيا الشرق، صـــ٧٢.

[٢] الكناية في شعر البردوني ديوان(السفر إلى الأيام الخضر)أنموذجا دراسة سيموطيقية، عبد الله حمود الفقيه،

.https://www.albaradouni.com/430

والبشير الصادق الوعد، وهو الآمين، الرحمة المهداة، وهو الهاشمي الخاتم الأمي، وسبيل رب العالمين، من بدأت به تمت به كلمات ربه التامات) وكلها صفات لا تجتمع إلا في شخص النبي–صلى الله عليه وسلم– ولعل كثرة صفات الممدوح وخصاله جعلت بخيت يأتي بالصفات كانيا بها عن الموصوف، فالموصوف لديه حاضر في صفاته، وهذه ليست الأبيات الوحيدة التي عمد فيها الشاعر إلى الكناية عن الموصوف بذكر صفاته بل إننا لا نبالغ في قول أن هذه الصورة الكنائية من أكثر الصور التي اعتمد عليها في مشكاته، خاصة في حديثه عن النبي–صلى الله عليه وسلم– كذلك الأنبياء والصحابة، فكثيرا ما كان يعمد إلى ذكر الصفات دون الموصوف تاركا المجال لعقل المتلقي للوصول إلى مدلوله من خلال الدال، فهو يذكر الدال ويشير من خلاله إلى المدلول.

وفي الأبيات السابقة تتداخل العديد من الصور الكنائية وتتجاوب، فعلى الرغم من أن النظرة الأولى للأبيات توحي بأن بخيت أتى بها للكناية عن ممدوحه بذكر صفاته، إلا أنه بتدقيق النظر إلى الأبيات نلتمس عددًا من الكنايات المتعالقة التي رمى بها في جوف الصورة الكنائية الأساسية التي كنى بها عن ممدوحه، فتعالقت وتلاحمت معا حتى لا تكاد تشعر بها من شدة التحامها مع الصورة الأساسية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قدرة بخيت الشعرية والفنية التي وضحت من خلال إذابة الصور الفنية وتطويعها؛ ففي البيت الأول أكثر من صورة كنائية يمكن توضيحها على النهج الآتي:

١- وُلِدَ الشَّهيدُ على البريَّةِ ⟵ كناية عن مولد النبي–صلى الله عليه وسلم–.

٢- تمشي وراءَ لوائِهِ الرَّاياتُ ⟵ كناية عن القيادة الفعالة للنبي–صلى الله عليه وسلم.

ويمكن توضيح الصور الكنائية من حيث الدال والمدلول بالآتي:

وُلِدَ الشَّهيدُ على البريَّةِ (الدال)

| المدلول الأول (السطحي) | المدلول الثاني(العميق) |
| --- | --- |
| ولد الشهيد على الخلق | مولد النبي– صلى الله عليه وسلم– |

فلقد عزف بخيت عن ذكر المدلول الثاني واكتفى بذكر بعض صفاته الدالة عليه، فالنبي- صلى الله عليه وسلم- هو الشهيد على الخلق أجمع، وذلك مصداقا لقول الله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾[1]، فجاء في تفسير الآية أن أمة النبي-صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة تكون شهيدة على دعوة الأنبياء وتبليغهم، وأن النبي- صلى الله عليه وسلم- يكون شاهدا على صدق أمته، فيكون بذلك شهيدا على الخلق أجمعين، فعدل بخيت عن ذكر المعنى الحقيقي للأبيات، وهو مولد النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى ذكر ما يشير إليه ويلزمه، فتكون الكناية هنا مؤشرا خفيا على مدلول الكلام.

وفي الشطر الثاني من البيت كنى بخيت عن قيادة النبي-صلى الله عليه سلم- لجميع الأمم، فهو قائد للبشرية تمشي خلف لوائه وكلمته وتعاليمه جميع الأمم المؤمنة وذلك بقوله (تمشي وراءَ لوائِهِ الرَّاياتُ)، وفي هذه الصورة بالتحديد ترك بخيت العنان لذهن المتلقي للتنقيب والتأويل، فهي تحمل أكثر من تأويل للمكني عنه، منه ما تم الذهاب إليه من أن المكني عنه هنا هو قيادة النبي-صلى الله عليه وسلم- لجميع الأمم المؤمنة، فهي تمشي خلف لوائه وتعاليمه وكلمته، وهناك تأويل آخر يتمثل في أن المكني عنه في البيت هو أن القرآن الكريم المنزل على النبي-صلى الله عليه وسلم- هو اللواء الذي تسير خلفه الرايات، وبالتالي(اللواء) هنا دال على القرآن الكريم، والرايات دالة على الكتب السماوية، فلواء النبي- صلى الله عليه وسلم- هو القرآن، إذن وطبقا لهذا التأويل يكون (تمشي وراءَ لوائِهِ الرَّاياتُ) كناية على أن القرآن الكريم فهو الكتاب القائد الذي تسير خلفه الكتب السماوية الأخرى، فاللواء هو نوع من أنواع الرايات، وهو الراية الكبيرة، والقرأن الكريم هو لواء النبي-صلى الله عليه وسلم- فيكون القرآن الكريم (اللواء) هو الأساس الذي تمشي خلفه الكتب السماوية الأخرى(الرايات).

والتأويل الثالث يتمثل في استحضار بخيت ليوم القيامة وأحداثه، فيكون (تمشي وراءَ لوائِهِ الرَّاياتُ) كناية عما سوف يحدث يوم القيامة من أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سوف يحمل لواء الشفاعة والحمد، وأن جميع الأنبياء يمشون تحت لوائه، وذلك كما جاء في الحديث النبوي عن أبى سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "أنا

---

[1] النساء: (٤١).

سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد -ولا فخر-، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الإ تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض -ولا فخر-، وأنا أول شافع وأول مشفع -ولا فخر-، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فأدخلها فيدخلها معي فقراء المهاجرين -ولا فخر-، وأنا أكرم الأولين والآخرين -ولا فخر-"[1]، فالدال هنا يوحي بزخم دلالي نستشعرهه من خلال تراكم المعنى الدلالي المستتر خلف ألفاظه.

ويمكن توضيح المدلول الكنائي من خلال التأويلات الثلاثة، وذلك بواسطة المخطط التالي:

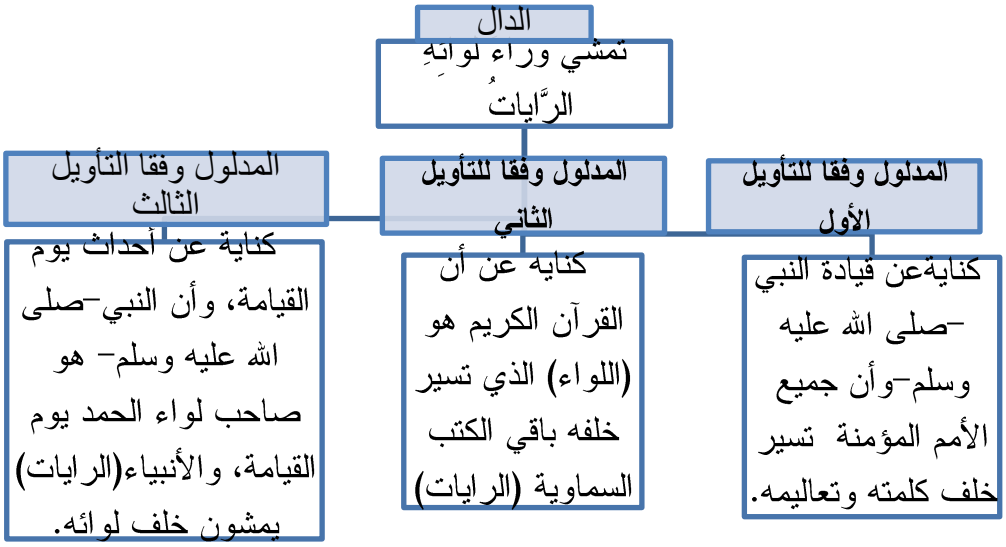


ومن الكنايات المتداخلة أيضا في الأبيات السابقة قوله:("طه" لَقَدْ بدأَتْ بِهِ تَمَّتْ بِهِ كلماتُ رحمةِ رَبِّهِ التَّامَّاتُ)، فقد كنى بخيت عن الموصوف، وهو النبي-صلى الله عليه وسلم- فجاء بصفاته الدالة عليه، والشطر السابق يعد أيضا كناية عن أن النبي-صلى الله عليه وسلم- هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فكنى بخيت عن ذلك بقوله(تمت به)، ليؤكد أن الرسالات النبوية تمت بالرسالة المحمدية، فلا رسالات بعدها، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين؛ لذا نجده في بيت آخر يؤكد هذا المعنى فيقول:

---

[1] بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخص المعجزات والسير والشمائل، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي، دار صادر/ بيروت، ١٩٠/٢.

كَمُلَتْ رسالاتُ السماءِ بسيِّدٍ *** الكونينِ واكتملتْ بِهِ الآياتُ

إذن فإن بؤرة الكناية في الأبيات السابقة تتمثل في أنها وصف للنبي–صلى الله عليه وسلم– من خلال العدول عن ذكر الموصوف، والاكتفاء بصفاته الدالة عليه، ولكن بجانب تلك البؤرة تظهر العديد من الصور الكنائية الأخرى التي تتفاعل مع البؤرة الأساسية وتتلاحم معها.

وفي بيت آخر يستخدم الكناية للدلالة على الذل والهوان الذي لحق بالأصنام والأوثان حال قدوم النبي–صلى الله عليه وسلم– إذ يقول:

أَشْرَقْتَ فالأَوثانُ كلُّ رؤوسِها *** نُكِسَتْ، وللشَّيطانِ إرِناناتُ

كنى بخيت عن مدى الخزي والذل الذي لحق بالأوثان، وذلك من خلال قوله(كلُّ رؤوسِها نُكِسَتْ)، فنكس الرأس دلالة على الخزي والذل والهوان، والشاعر جاء بالصورة الكنائية هنا للدلالة على أن مولد النبي –صلى الله عليه وسلم–كان بداية الإشراق والهدى والنور الذي محي ظلمة الضلال والشرك، فنُكست رؤوس الأوثان معلنة الهزيمة والخضوع أمام هذا النور الساطع والرحمة المهداة، فيكون المدلول الأول المباشر هو انخفاض الرأس للدلالة على الهزيمة، والمدلول الثاني: عظم الرسالة المحمدية وقوتها التي ألحقت الذل والهوان بالأوثان.

وفي المشكاة كثيرا ما عدَل بخيت عن ذكر الأنبياء بأسمائهم، واكتفى بذكر بعض خصالهم، فيقول:

رَفَعَ "الخليلُ" مَعَ "الذَّبيحِ" قواعدَ الـــ *** بيتِ العتيق، ولَبَّتِ النَّسماتُ

في البيت السابق نسج بخيت أكثر من صورة كنائية استطاع من خلالها بلورة المدلول العميق، وذلك من خلال العدول عن ذكر المعنى صراحة، فقد كنى عن سيدنا (إبراهيم) –عليه السلام– بقوله: (الخليل)، وعن سيدنا إسماعيل–عليه السلام– بقوله:(الذبيح)، كما أنه كنى عن البيت الحرام والكعبة بـــ(البيت العتيق)، وكل هذه الكنايات تجمعت في بيت واحد لإظهار الصورة والبؤرة الكنائية للبيت، والتي تتمثل في بناء الكعبة، وقد تداخلت الصور الكنائية هنا وتعالقت بلورة تلك الصورة، واستمر بخيت في استخدام الكناية كأدة إيحائية يشير من خلاله إلى المعنى المراد نقله وإيصاله للمتلقي، فنراه في بيت آخر يستخدم مصطلح(الذبيحين) كدال فيقول:

يا بنَ الذَّبِيحَيْنِ، المقامُ بشارةٌ، *** إرثٌ كريمٌ، ذمَّةٌ مُوفاةُ

البيت كناية عن الرسول-صلى الله عليه وسلم- فهو ابن الذبيحين[١]، فقد كنى بخيت عن ذكر المدلول بالإشارة إليه بشيء من لوازمه، وداخل هذه الكناية توجد كناية أخرى، ففي قوله: (الذبيحين) كناية عن سيدنا إسماعيل بن إبراهيم-عليهما السلام- فهو جد النبي-صلى الله عليه وسلم- ، وهو الذبيح الأول؛ حيث أمر الله -سبحانه وتعالى- سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بذبح ولده إسماعيل، ولما سلما لأمر الله نسخ الله ذلك الأمر وفداه بذبح عظيم، أما الذبيح الثاني فهو عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، وسمي بالذبيح بعد حادثة فدائه، فقد كاد أن يذبحه أبوه لولا أنه أُفتدي بمائة من الإبل، وفي قوله(إرث كريم) كناية عن إرث النبوة، فنسب النبي -صلى الله عليه وسلم- ينتهي إلى سيدنا إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام- وهو نسب كريم، فالصور الكنائية هنا عنقودية متآلفة ومتشابكة.

**الخاتمة**

١- المنهج السيميائي من أكثر المناهج تداخلا مع النص وتفاعلا به، فالنص اللغوي أو الأدبي قائم على منظومة متشابكة من العلامات والرموز التي تتعالق بالأحداث والمشاعر والعواطف، فتعمل السيميائية على فك تلك الرموز وبلورتها بما يساند الدلالات الإيحائية للنص؛ وذلك من خلال استقطاب التأويلات والإيحاءات الإشارية التي يجود بها النص، فتكون السيميائية بذلك أنسب المناهج اللغوية/ النقدية في فك رموز النص وسبر أغواره.

---

[١] وذلك كما جاء في رواية "أبي بكر بن محمد بن عبد الله الشافعي...ثنا عبد الله بن سعيد الصنابحي قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان فتذكر القوم إسماعيل، وإسحاق بن إبراهيم، فقال بعضهم الذبيح إسماعيل، وقال بعضهم بل إسحاق الذبيح فقال معاوية سقطتم على الخبير، كنا عند النبي-صلى الله عليه وسلم- فأتاه أعرابي فقال: يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا، هلك المال، وضاع العيال، فعد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فتبسم الرسول-صلى الله عليه وسلم- ولم ينكر عليه، فقلنا يا أمير المؤمنين وما الذبيحان؟ قال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها أن ينحر بعض ولده، فأخرجهم فأسهم بينهم، فخرج السهم لعبد الله، فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم، وقالوا أرض ربك وأفدي ابنك، قال: ففداه بمائة ناقة، فهو الذبيح، وإسماعيل الثاني"، المستدرك على الصحيحين، الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ٦٠٤/٢.

٢-على الرغم من فيض التعريفات التي قيلت في السيميائية وتشعبها يبقى المفهوم العام للسيميائية هو البحث عن المعنى في الدراسات اللغوية أو غير اللغوية، فعلى الرغم من تباين الآراء حول التعريف المنهجي للسيميائية إلا أن جميعها يدور حول مدلول الرمز والعلامة والإشارة.

٣-يقوم الفكر المجازي الحديث على بناء علاقات جديدة بين الألفاظ، ووفقا لهذه العلاقات تندثر دلالة وتتولد دلالات أخرى، فركني المجاز(الدال والمدلول) يكون بينهما علاقة تختلف باختلاف الصورة المجازية، تلك العلاقة كفيلة بأن تتولد من خلالها الكثير من التأويلات والرؤى؛ مما ينتج عنه زخم دلالي ينصب في مصلحة المعنى.

٤- يتداخل الفكر المجازي مع المنهج السيميائي تداخلا بينيا قائما على الأيقونة والإشارة والرمز، و ذلك على النحو التالي:

- الأيقونة: ويمثلها في الفكر المجازي (الاستعارة)، والعلاقة التي تحكمها هي المشابهة.
- المؤشر: ويمثله في الفكر المجازي(الكناية)، والعلاقة التي تحكمها هي المجاورة السببية.
- الرمز: ويمثله في الفكر المجازي(المجاز المرسل)، والعلاقة التي تحكمه هي المجاورة العقلية.

٥-تموضعت الكناية في الدراسات البلاغية الحديثة في إطار علاقتي التجاور والتداعي، ولا ريب في أن تتبع الصورة الكنائية في أي نص لغوي لا سيما النص الشعري يتطلب النظر إلى النص على أنه بنية لغوية وجمالية متكاملة لا يمكن تجزئتها، حتى يتسنى للناقد أو المتلقي أن يلتمس المغزى الدلالي والجمالي للكناية في النص بوجه عام، وأن لا يكتفي بالنظرة العابرة للصورة الكنائية كي لا يحيد عن المقصد منها.

٦- شكلت الكناية ملمحا بارزا من ملامح الدلالة في المشكاة؛ سواء كان على الجانب البلاغي الذي يعتمد عليها كونها صورة بلاغية جمالية تهدي النص ثراء وتكثيفا فنيا وجماليا، أو على الجانب السيميائي الذي تمثل فيه الكناية بعدا ايحائيا قائما على الانزياح الدلالي للمعنى الظاهر وتوليد معان متجددة، فتغدو الصورة الكنائية رمزا يحمل في طياته العديد من التأويلات التي يتجاوز بها الحدود الاصطلاحية.

## قائمة المصادر والمراجع

**أولًا: الكتب العربية والمترجمة:**


- أسس السيميائية، دنيال تشاندلر، ترجمة طلال وهبة، مراجعة ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة.
- البلاغة (المدخل لدراسة الصور البيانية)، فرانسوا مورو، ترجمة محمد الوالي، عائشة جرير، إفريقيا الشرق .
- بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخص المعجزات والسير والشمائل، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي، دار صادر/ بيروت.
- البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٢ .
- تاريخ علم اللغة الحديث، جرهارد هلبش، ترجمه وعلق عليه، سعيد حسن بحيري، زهراء الشرق.
- تشكيل الصورة في شعر زهير بن أبي سلمي ، عبد القادر أحمد، جامعة الملك سعود، كلية الآداب.
- الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية(الحداثة وتحليل النص)، عبد الإله الصائغ، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٩م .
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- دليل مناهج البحث العلمي، مهى جرجور، جوزيف لبُّس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة اللبنانية، ط١، ٢٠٢٠.
- الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي، محمد الوالي، المركز الثقافي العربي، ط١.
- لسان العرب لابن منظور.
- المستدرك على الصحيحين، الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية .
- معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، (ت) محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.

- مفاهيم الشعرية (دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم)، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي.
- مفتاح العلوم، السكاكي، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية .

**ثانيا: الرسائل العلمية والدوريات والمواقع**

- الكناية في شعر البردوني ديوان(السفر إلى الأيام الخضر)أنموذجا دراسة سيموطيقية، عبد الله حمود الفقيه، https://www.albaradouni.com/430 .

**ثالثًا: الكتب الأجنبية**

1- Ferdinand de Saussure, Course in General Linguistics, Edited by Charles Bally and Albert Sechehaye in Collaboration with Albert Riedlinger: Translated and Annotated byRoy Harris(London:Duckworhh,1983).